

قضية اليوم

الراعي ينطق بلسان روما

تجاوز البطريك بشارة الراعي كل خطوط القوى السياسية الأخرى الحمراء في ما يخص الوضع في سوريا، متقدماً الجميع، بمن فيهم الحزب السوري القومي الاجتماعي، وحزب البعث والتيار الوطني الحر وحزب الله وحركة أمل. هكذا يُدخل الراعي، الذي يرفض أن يكون في الموقع الثاني وإنما كان، الكنيسة المارونية في مرحلة جديدة

غسان سموع

للدول مهما بلغت عظمتها سفارة واحدة في كل دولة. وحدها الفاتيكان تملك سفارة في كل قرية في أنحاء العالم. لا يحتاج الكرسي الرسولي إلى سفارة في سوريا ولا إلى قناة «الجزيرة» أو وكالة سانا ليُعرف ما يحصل في المدن السورية. سينبئه مسيحيو المدن السورية والقرى النائية، التي لا تصلها مواكب السفراء ولا كاميرات المصورين، بكل ما يحصل عندهم: كل ما يسمعونه ويشاهدونه، وكل تحليلاتهم ومخاوفهم. يوفر هؤلاء جهازاً دبلوماسياً للفاتيكان يتجاوز بعدديه أهم الأجهزة الدبلوماسية والاستخبارية في العالم، فضلاً عن أن صدقية من يكتب التقرير على شاكلة اعتراف كنسي أكبر بكثير ممن يكتب التقرير لقاء بدل مالي.

هذه الدولة نفسها (الفاتيكان) تولى منذ عامين اهتماماً استثنائياً بما تطلق عليه «الحفاظ على الوجود المسيحي في الشرق». وقد تعاضمت مخاوفها على هذا الصعيد إلى حد الطلب من البطريك الماروني نصر الله صفير الاستقالة وسهرت على انتخاب البطريك بشارة الراعي بوصفه الأقدر بين زملائه المطارنة الموارنة على تحقيق التطلعات الفاتيكانية.

حين يزور الراعي فرنسا إنذاراً، يكون في حقيبته ملف متكامل عمّا حصل في سوريا أعدته الدبلوماسية الفاتيكانية، يشمل هذا الملف: أولاً، معلومات ميدانية عن الأوضاع في سوريا، إضافة إلى التحليلات والمخاوف. ثانياً، معلومات عن الخطط الأجنبية والسبناريوات الدولية لمعالجة الأزمة في سوريا (أو تصعيدها)، أعدتها الدبلوماسية

من يعرف الراعي جيداً يعلم أنه ليس بطريك انفعال

أحد أسباب موقف الراعي اكتشافه عدم وجود خطة دولية لإطاحة الأسد

الفاتيكانية التي تُروى الكثير عن نفوذها واختراقها معظم أجهزة الاستخبارات ومقاطعتها المعلومات بطريقة نادرة. ثالثاً، مجموعة أسئلة محددة وواضحة عن التدابير التي تنوي الدول العظمى اتخاذها لتضمن «الحفاظ على الوجود المسيحي في الشرق»، بعد تأكد الكنيسة من أن تدخل الغرب في الشرق لا يلحق غير الكوارث بالمسيحيين.

في فرنسا كان برنامج الراعي حافلاً، فبموازاة لقائه رئيس الدولة الفرنسية ورئيس مجلس الوزراء والنواب، التقى الراعي كاردينال باريس، الذي يشغل الموقع الدبلوماسي الأعلّم بما تطلّخه الدبلوماسية الفرنسية. ذهب الراعي حاملاً ملفاً متكاملًا. كانت أسئلته بالتالي واضحة ومحددة. يؤكد أحد الذين واكبوه في الزيارة أن غموض الأجوبة كان يدفعه إلى التصعيد أكثر فأكثر، مرة بعد مرة، بشأن الأزمة في سوريا.

من يعرف الراعي جيداً، يعلم أنه خلافاً لبعض أسلافه، ليس بطريك انفعال، بل بطريك قلب وعقل. اختارته الفاتيكان لأنه رجل قلم وورقة وحسابات دقيقة. في هذا السياق لا بدّ من إعادة قراءة تأكيد «تفهمه لموقف الرئيس السوري بشار الأسد»، ومطالبته بإعطاء «الأسد فرصاً إضافية». ساءل الغرب في عقر داره، «عن أي ديموقراطية تتحدثون في ظل ما يحصل في العراق؟»، أجاب نفسه: «إنهم (من دون تحديد هوية

القواتيين في المجالس وعلى مواقع التواصل الاجتماعي على الإنترنت أمس، حيث وصف بكونه «رئيس حزب البعث في بركي».

تبدّل المواقف بين مسيحيي 8 آذار ومسيحيي 14 آذار، يدفع إلى التساؤل: من بقي من جمهور البطريكية بعد ابتعاد جمهور القوات والكتائب وأنصار البطريك صغير؟ لا أحد. تاريخياً، كل

وتحديداً تيار المستقبل، تشعر بابتهاد دار الافتاء عن موقعها المحضن منذ 15 عاماً بالقرب من آل الحريري. لم يتصوّر أحد في هذه القوى أن مطلق عبارة «أهل السنة في لبنان ضاقوا ذرعاً»، قبل ساعات من الدخول العسكري لقوى المعارضة إلى بيروت في أيار 2008، أن هذا الرجل سيتخلّى عن مواقفه و«مبادئه» إلى جانب «العائلة».

اليوم، تنظر قوى 14 آذار بريبة إلى التقلبات التي تشهدها مواقف بركي. لطالما عدت شخصيات الأقلية الجديدة هذا الموقع بمثابة حديقته الخلفية، نظراً إلى تاريخ الكنيسة المارونية والأدوار السياسية التي أدتها على مرّ السنوات: خلال الحرب الأهلية، في مرحلة اتفاق الطائف، في فترة «الإحباط المسيحي»، في نداء المطارنة الموارنة وإبان انطلاق «انتفاضة الاستقلال»، ماذا حصل في بركي بعد «استقالة» البطريك نصر

الله صفير؟ الإجابة بسيطة: جاءت المواقف الأخيرة للبطريك بشارة الراعي بشأن سلاح حزب الله والانتفاضة في سوريا، لتحسم سلباً هواجس فريق 14

أذار: «الراعي صار حقاً في المقلب المعادي». ومن يزرر مجالس الطرفين، يلحظ أن المشهد انقلب على نحو معاكس بين أنصار القوات اللبنانية والكتائب من جهة، ومجالس التيار الوطني الحرّ وتيار المرده من جهة أخرى. يتقبل العونيون، مثلاً، للمرة الأولى منذ ثمانينيات القرن الماضي، سلطة صولجان البطريكية المارونية، فيما فقد القواتيون ثقتهم السياسية بالراعي والمؤسسة التي

يمثلها. من كان يخال أن يسمع من مسؤول عوني: «بتّصها البطريك»، أو من مسؤول في القوات: «المسيحية ليست عصا وصلجاناً ومراكز، بل هي دفاع عن المظلوم والمحتاج»، وانتشرت مواقف

من كانوا إلى جانب النظام في سوريا لا يجدون دربا إلى بركي، كما أنّ منطقتي العونيين يبعدهم عن هذه السلطة، وسط جهد يبذله عدد من مسؤولي التيار لمحاولة إقناع العونيين بإمكان تقبل هذه الفكرة.

ونسبة إلى قوى المعارضة، تحوّل الراعي نتيجة مواقفه الباريسية من غبطة البطريك إلى «سماحة البطريك»، وهي العبارة التي انتشرت أمس بين مسؤولي قوى 14 آذار وأنصارها، الذين لم يجدوا سبيلاً سوى تغيير صفة الراعي وتحويرها على هذا النحو لوصف «أفعاله». لكن أليس انتقاد الراعي هجوماً على الكنيسة وانتقاصاً من موقعها؟ هذا الأمر يربك معظم الأقلين، حيث بات كل من يريد التحدث عن مواقف الراعي

يضيف لا إرادياً عبارة «وذلك حرصاً على البطريكية المارونية وموقعها التاريخي».

وعند سؤال قادة في 14 آذار عن الخطوة المنوي القيام بها للردّ على مواقف الراعي، يجيب الأقلّيون «لا يزال الوقت مبكراً للحديث في هذا الموضوع»، وكلّ أمال فريق 14 آذار تتركز على إمكان إصدار البطريك في الساعات المقبلة توضيحاً لمواقفه، ما من شأنه إنقاذ الأقلية من مأزقها. لكن أحد المسؤولين القواتيين تقدّم أمس بطرح لقيادته وغيرها من القيادات في «ثورة الأرز»، يفيد بضرورة إعادة إحياء صورة البطريك السابق نصر الله صفير في الإعلام. وهو طرح لقي رواجاً بين الأقلّين، وخصوصاً أن صفير هو من سبّراس القديس السنوي لذكرى «شهداء المقاومة اللبنانية».

وفي السياق، يرى نائب رئيس الهيئة التنفيذية في القوات، النائب جورج عدوان، أن كلام الراعي «تبرير لوجود سلاح خارج الدولة، وقيام دولة داخل الدولة»، مطالباً بأن تدافع الدولة عن لبنان. ويشدد على أنّ «المسار الطبيعي للدور المسيحي هو حماية الحريات»، مشيراً إلى أنّ «تصوير المسيحيين كأنهم طرف في سوريا لا يخدم المسيحيين ولا الخط التاريخي لبركي».

أما تيار المستقبل، ففضّل أمس نوابه الصمت حيال مواقف الراعي، فيما عبّر قادته في مجالسهم عن استيائهم، مشيرين إلى أنّ «خطر الأصولية السنية يترتب علينا أولاً، لكون الحركات الأصولية تهدر دمنا قبل دم أي طرف أو شخص من طائفة أخرى». وشدد المستقبليون على أنّ انشقاق أي أقلية جديدة في سوريا «لن يؤدي إلى تأليف أقلية جديدة في المنطقة»، مؤكدين مبدأ «لبنان أولاً».

تقرير

14 آذار: «سماحة البطريك»

بات فريق 14 آذار بلا أي مرجعية دينية تتبني مواقفه و«تبشّر» بها. وفي ما يخص العلاقة ببركي، لا تزال هذه القوى تحافظ على رباطة جأشها، وحذرة من الوقوع في محذور المواجهة، لكن يبدو عيباً مشهد تبادل الأدوار بين مواقف القواتيين والعونيين من الكنيسة، وهو ما يشير إلى أنّ بركي باتت بلا جمهور

نادر فوز

بدأ شيخ مذلة الخروج من السلطة يخيم على قوى 14 آذار، وما يتبين منذ أسابيع أنّ قوى الأكثرية السابقة تخسر تناعاً مواقع وشخصيات كانت موجودة «تحت الإبط». وتتمحور هذه الخسارة تحديداً في خسارة قوى المعارضة دعم المؤسسات الدينية، وربما العلاقات معها. فقوى «ثورة الأرز» - التي ولدت أساساً من رحم شعار تاخي الأديان وأبناء الطوائف - تجد نفسها اليوم بلا أي مرجعية دينية تردّد شعاراتها وتسوّق لها في الأديرة والجوامع والأماكن الدينية، حيث يجتمع الناس على مختلف مواقعهم الطبقية والسياسية.

قبل سنتين، في آب 2009، خسرت قوى 14 آذار موقع مشيخة دار العقل الدرزية مع استدارة رئيس كتلة اللقاء الديموقراطي (يومها)، النائب وليد جنبلاط. وقبل أقل من شهرين، بدأت قوى الأقلية الجديدة،

